الاسم واللقب: إدري صفية

الرتبة: أستاذ محاضر أ

البريد الإلكتروني:

idrisafia@yahoo.fr

محاضرة رقم 03: نشأة علم الاجتماع والظروف التي مهدت لظهوره كحقل معرفي

إن تفسير الظواهر والسلوك الانساني كان منذ القدم مصدر انشغال البشر اعتمد لقرون عديدة على أفكار رجال الدين والمعتقدات وحتى الخرافات والأساطير الى انه مع التطورات التي بدأت اواخر القرن 18 اتجه نحو استخدام العلم لتحليل الظواهر. حيث حدث تغيير جذري في النظرة البشرية لمحيطها وبدا التفكير العقلاني والنقدي لاكتساب المعرفة يحل محل التفسيرات التقليدية مما طور علوما عديدة ومهد لظهور علوم جديدة منها علم الاجتماع الذي برز خاصة بعد الثورتان البارزتان في القرن 18 و 19 وهما الثورتان الفرنسية 1789 التي تجسدت فيها قيم وأفكار الحرية و المساواة فغيرت من النظام الاجتماعي القائم أما الثورة الثانية فهي الثورة الصناعية التي أدت الى حدوث تحولات اجتماعية و اقتصادية جعلت الحاجة الى دراساتها أمرا ضروريا وحتميا لاكتشاف الطبيعة الانسانية وكيفية بناء المجتمعات وأسباب التغير الاجتماعي.

إن تكون علم الاجتماع كعلم مستقل تم في الجزء الثاني من القرن 19 حيث لم يستطع فرض مكانه في الجامعة الفرنسية كتخصص قائم بذاته إلا انطلاقا من 1950 وقد اعتمد هذا العلم في بدايته على علوم أقدم منه حيث أخذ من الفلسفة والتاريخ تحليلها الاجتماعي والسياسي للسلوك البشري حتى أصبح علما قائما بذاته له مناهجه ومواضعه الخاصة به. حيث صاغ أوغست كانط مصطلح علم الاجتماع وسرعان ما انتشر المصطلح أكاديمياً للدلالة على كلّ دراسة علميّة تخص المجتمع، ووضع هربرت سبنسر أول مؤلف مخصص لهذا الفرع العلمي الجديد في الولايات المتحدة الأمريكيّة باسم "علم الاجتماع"، ومن بعده بدأت كلّ من الجامعات الأوروبيّة والأمريكيّة في إنشاء أقسام مخصصة للدراسات الاجتماعيّة في كليات العلوم الإنسانيّة، وترأّسها فلاسفة كبار أخذوا على عاتقهم وضع نظريات ومؤلفات في التنظيم الاجتماعي، ومن أشهر مؤسسي علم الاجتماع الحديث كلّ من إميل دوركايم، وماكس فيبر، وكارل ماركس، كما تأسست جمعيات علم الاجتماع حول العالم في القرنين التاسع عشر والعشرين ميلادي.

أهم التطورات الاقتصادية والاجتماعية والإيديولوجية التي واكبت النشأة الغربية لعلم الاجتماع:

1- الثورة الفرنسية 1789:

تمثل ثورة سياسية واجتماعية عملت على هدم النظام الملكي الوراثي، وساهمت في طرح العديد من المفاهيم الجديدة مثل: مفهوم العلمانية (فصل الدين عن الدولة)، والشرعية التي أصبحت تستمد من التعاقد وليس من الدين، وأعطت مفهوم المواطنة، الحق–القانون–الفرد... حيث يقول أوغيست كونت في كتابه " دروس في الفلسفة الوضعية: "ما كان لعلم الاجتماع أن يظهر لولا تمزيق/نزع حجاب القداسة والظلامية عن المجتمع الفرنسي. كما ساهت في بروز "الفلسفة الوضعية" التي تعتمد على المعرفة والملاحظة في تفسير الظواهر.

2-**الثورة الصناعية/ التحول من النظام الإقطاعي إلى النظام الرأسمالي:** عاشت أوروبا في ظل هذا النظام عصور عدة، حيث كان المجتمع ينقسم لطبقتين أساسيتين هما طبقة الإقطاعيين الذين يملكون جميع الأراضي الزراعية وطبقة دنيا من فلاحين وعمال وكانوا يمثلون النسبة الكبرى من المجتمع كما – وجدت عدة طبقات أخرى كالأرستقراطية والنبلاء وطبقة التجار ورجال الدين– المعرفة السائدة فيه، معرفه لاهوتية ميتافيزيقية قدمت عن طريق الكنيسة، والسبب في ذلك أن معظم القساوسة ورجال الدين كانوا من الإقطاعيين الذين أرادوا ثبات الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية فقدموا للمجتمع معرفة ثابتة هي المعرفة اللاهوتية. لتأتي مرحلة الانقلاب الصناعي أرادت من خلاله الطبقة البرجوازية قلب النظام الإقطاعي إلى نظام صناعي رأسمالي، وكان الحل هو تغيير الفكر السائد، ومواجهة الفكر الكنسي اللاهوتي بتقديم معرفة علمية حقيقية، وكان أن احتضنت الطبقة البرجوازية العلماء، فالعلوم التي تخدم الصناعة والنظام الرأسمالي هي التي تطورت تطور جذري. وهنا ظهر علم الاجتماع الغربي كوليد للنظام الرأسمالي، ومن نتائج هذه المرحلة نذكر:

1- **تحول المركز الاجتماعي للإنتاج:** حيث كانت القرية هي المركز الأساسي للإنتاج وذلك لارتباط النظام الإقطاعي بالإنتاج الزراعي، ولكن بانفجار الثورة الصناعية أصبح هناك نظاماً اجتماعياً جديداً اتخذ المدينة مركزاً له، وكان ذلك بشكل طبيعي لأن الطبقة البرجوازية من سكان المدن أساسا والبرجوازية هي التي قادت الانقلاب الصناعي، كما تطورت نظم المصانع الحديثة في المدينة وأصبحت المدينة مركز جذب لقوى العمل الموجودة في الريف.

2-**تحرير قوى العمل:** من الشعارات الفلسفية التي قامت عليها الرأسمالية تحرير قوى العمل بمعنى تحرير حركتها التي كانت مقيدة وتحرير حركة الانتقال بوجه عام، والتي أدت إلى زيادة عدد الهجرات بصورة كبيرة

من الريف إلى المدن، وظهور خصائص جديدة للمدنيين فبعد أن كانت المدينة مدينة صغيرة أصبحت مدينة كبيرة طبقية بها العديد من الطبقات الجديدة كطبقة البروليتاريا أي الطبقة العاملة الصناعية.

3-**ظهور العديد من المشكلات الاجتماعية:** كنتيجة لفيض قوة العمل مثل انخفاض الأجور، زيادة ساعات العمل خروج النساء والأطفال للعمل، انتشار مظاهر البؤس، ظهور طبقات جديدة في المدينة كالبرجوازية والبروليتاريا واتسام العلاقة منذ البداية بالتوتر وذلك لأن الطبقة البرجوازية تسعى لاستغلال جهود العمال من خلال الأجور المنخفضة من ناحية وزيادة ساعات العمل من ناحية أخرى رغبة في الثراء السريع وتحقيق مركز اجتماعي مسيطر.

كل هذه العوامل عمقت الحاجة لظهور علم جديد يحرز تقدما في دراسة الآثار المترتبة على هذه التغيرات على مستوى الحياة الاجتماعية وكان هذا العلم هو علم الاجتماع.